احبـــــــــــــــوا اعـــــــــــــــداءكم

Coptic Apologetics

باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد أمين

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ،
وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، 45 لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ
الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ
عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. 46 لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟
أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ 47 وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ
فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ 48 فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ
كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ

(انجيل متّى الاصحاح 5 والاعداد 44-48)

εγω δε λεγω υμιν αγαπατε τους εχθρους υμων και προσευχεσθε υπερ των διωκοντων υμας

οπως γενησθε υιοι του πατρος υμων του εν ουρανοις οτι τον ηλιον αυτου ανατελλει επι πονηρους και αγαθους και βρεχει επι δικαιους και αδικους

εαν γαρ αγαπησητε τους αγαπωντας υμας τινα μισθον εχετε ουχι και οι τελωναι το αυτο ποιουσιν

και εαν ασπασησθε τους αδελφους υμων μονον τι περισσον ποιειτε ουχι και οι εθνικοι το αυτο ποιουσιν

εσεσθε ουν υμεις τελειοι ως ο πατηρ υμων ο ουρανιος τελειος εστιν

في هذه الأيات نرى أبلغ وصف للمحبة المسيحية العاملة وتعتبر الجزء المركزي والهام في الموعظة على الجبل ولكن عندما ندرس هذا الجزء لا بد ان نحاول فهم المعاني التي قصدها رب الجد وما يطلبه فعلا من أتباعه، فإذا أردنا ان نحيا وفق هذه الآيات لا بد لنا ان ندرك بوضوح مدلولها، فما الذي يعنيه المسيح بمحبة أعدائنا؟

ما هي دلالات المحبة في الكتاب المقدس ؟ ما هي معنى المحبة المسيحية المقصودة في هذه الآية ؟ ما هو دافع المحبة المسيحية في الوصية الالهية التي تأمر بمحبة الأعداء ؟ هل وصية يسوع المسيح في هذا الآية تبدو لنا غير عملية كما يدّعي البعض او بمعنى أدق غير واقعية ولا تتماشى مع واقع الحياة بحيث تبدو محبة الأعداء لدى البعض أمر غريب ولا يتفق مع طبيعتنا البشرية؟ مجموعة من الأسئلة التي سيتم التطرق اليها في هذا البحث .

إذكروني في صلواتكم

باتريشيـــــا

أولا : دلالات الفاظ المحبة الواردة في الكتاب المقدس

عندما ندرس هذا الجزء لا بد لنا ان نفهم المعاني التي قصدها السيد المسيح، كيف لنا ان نحيا وفق هذه العبارات دون ان ندرك دلالاتها ؟ وما هو مقصد المسيح بمحبة الاعداء ؟ لذا اقتضى الأمر ان نعود الى اللغة اليونانية التي كتب بها العهد الجديد حيث انّ المتعارف على هذه اللغة

بأنها لغة غنية بالفاظها حتى ان الترجمة الى لغة اخرى قد تلقي نوعا ما الظلال على المعاني .

في اللغة اليونانية هنالك أربع كلمات تعبر عن "المحبة" وهي:

ΣΤΟΡΓΗ

Loving-kindness-affection-dearness-fondness-love-loving -tenderness

هذه اللفظة تدل على المحبة المعبّر عنها بالحنان في معنى الاهتمام والرعاية storghi . وقد وردت هذه الكلمة في تعبيرات أفلاطون وفليمون لتدل على المحبة العائلية. فمتى وجهت هذه المحبة بين المعارف اخذت معنى الحنان وتصف محبة الأب لطفله والطفل لأبيه على سبيل المثال ، ومتى وجهت الى غرباء اخذت معنى الشفقة والاهتمام والرعاية. فهي اذن محبة موجهة وليست مجردة ولكنها ليست الكلمة المستخدمة في مجال الآية موضوع البحث وبذلك ليس هذا نوع الحب هو المقصود في هذه الآية.

ΕΡΩΣ

Love- passion

وهذه اللفظة الثانية التي تعبر عن معنى المحبة في معنى العشق والهيام والولع وتستخدم عادة للعلاقات الحميمة بين الجنسين فهذه الكلمة تصف وتدل على الحب بين رجل وإمرأة eros محبة مشتعلة بالعواطف والانفعالات وتتداخل فيها العوامل الجنسية . وبالنسبة لهذه الكلمة لم يرد ذكر هذا التعبير في العهد الجديد على الاطلاق وبذلك لا تكون هذا الكلمة أيضا هي الكلمة المقصودة في الآية موضوع البحث ولا ترمي لهذا المفهوم اطلاقا.

ΦΙΛΙΑ

amity - entente - friendship

وهذه الكلمة للمحبة للتعبير عن اعمق عواطف المحبة والتقدير **Philia**

وهذه الكلمة تعرف في علم التأثيل اليوناني **Etymology** على انها الصداقة متى وجهت لأشخاص فهي تصف الأصدقاء والأحباء المقربين الى الفرد ويدخل في السياق الإعزاز والعاطفة الحارة الصادقة تجاه صداقات او

تحالفات. وتأتي على انها الشغف متى وجهت الى معاني مثلا الشغف بالحكمة **philosophy** ولكنها ليست ايضا نوع الحب المقصود او المستخدم في هذه الآية موضوع البحث .

Etymology (pronounced /□t□□m□lədʒi/) is the study of the history of words and how their form and meaning have changed over time.

يهتم التأثيل أو الإثالة أو علم تاريخ الألفاظ (إتيمولوجيا) بدراسة الأصل التاريخي للكلمات، ويعتمد في ذلك على تتبع تطور الكلمة من خلال الوثائق والمخطوطات، وأحيانًا تاريخ المجموعات البشرية الناطقة بهذه الكلمات.

ΑΓΑΠΗ

Agape- chrity- dilection- feast- fondness- love

هذه هي الكلمة الأخيرة المستخدمة للتعبير عن معنى المحبة وهي الكلمة المستخدمة في الآيات موضوع البحث agape ؛ فهذه الكلمة الاخيرة تستخدم للتعبير عن معنى المحبة المطلقة او الحب الصرف العام والمجرد وهو قطعا المعنى المقصود في الآية موضوع البحث، فهي موجهة من المحب الى الجميع بغض النظر عن ذواتهم او صلتهم به او استحقاقهم وأكبر مثال على ذلك الحب هو حب المسيح للخليقة جميعها من اجل

خلاصها واستعداده لمغفرة الخطايا حيث نرى قمّة البذل والمحبة المطلقة والامتناهية، فالمسيح مات على الصليب مدفوعا بمحبته لنا نحن الذين لا نستحق المحبة، ولم يحب فقط الذين يحبونه بل احب اعداؤه ومات عنهم فهو يطلب منا ان نحب اعداءنا ايضا وهذا هو المعنى الأسمى في درجات المحبة الواردة اذ تعبر عن الحب لذاته بكونه غاية وليس وسيلة، وهي التي تعني الأريحية التي لا يمكن التغلب عليها ، والسلام الذي لا يقهر. فإن كنا نحب انسانا بهذا المعنى فإنه مهما كانت معاملته لنا ومهما سبّب لنا من ضرر او حزن ومهما كانت إساءته الينا سواء بالكلام او الافعال ،فإننا لا نسمح أبدا للمرارة ضده ان تغزو قلوبنا، بل نعامله بإحسان لا

يقهر، وبسلام لا ينتهي، ونسعي لخيره دايما. ومن هذا المعنى نفهم قصد يسوع المسيح من هذه ألآيات.

Mτ E-43 Ἠκούσατε ὅτι ἐρρέθη, **ἀγαπήσεις** τὸν πλησίον σου καὶ μισήσεις τὸν ἐχθρόν σου.

Mτ E-44 Ἐγὼ δὲ λέγω ὑμῖν, **ἀγαπᾶτε** τοὺς ἐχθροὺς ὑμῶν, εὐλογεῖτε τοὺς καταρωμένους ὑμᾶς, καλῶς ποιεῖτε τοῖς μισοῦσιν ὑμᾶς καὶ προσεύχεσθε ὑπὲρ τῶν ἐπηρεαζόντων ὑμᾶς καὶ διωκόντων ὑμᾶς,

Mτ E-45 ὅπως γένησθε υἱοὶ τοῦ πατρὸς ὑμῶν τοῦ ἐν οὐρανοῖς, ὅτι τὸν ἥλιον αὐτοῦ ἀνατέλλει ἐπὶ πονηροὺς καὶ ἀγαθοὺς καὶ βρέχει ἐπὶ δικαίους καὶ ἀδίκους.

Mτ E-46 ἐὰν γὰρ **ἀγαπήσητε** τοὺς **ἀγαπῶντας** ὑμᾶς, τίνα μισθὸν ἔχετε; οὐχὶ καὶ οἱ τελῶναι τὸ αὐτὸ ποιοῦσι;

Mτ E-47 καὶ ἐὰν ἀσπάσησθε τοὺς φίλους ὑμῶν μόνον, τί περισσὸν ποιεῖτε; οὐχὶ καὶ οἱ τελῶναι οὕτω ποιοῦσιν;

Mτ E-48 Ἔσεσθε οὖν ὑμεῖς τέλειοι, ὥσπερ ὁ πατὴρ ὑμῶν ὁ ἐν τοῖς οὐρανοῖς τέλειός ἐστιν.

الكلمة في اللون الاسود العريض هي تصريف لكلمة حب:
الأولى : اغابيسيس و هي صيغة أمر للشخص الثاني المفرد و تترجم أحبْ
الثانية : اغاباته و هي صيغة أمر مستمر موجه للجمع و تترجم أحبوا

الثالثة : اغابيسيته و هي صيغة أمر مؤقت موجه للجمع و تترجم أحببتم
الرابعة : أغابونداس و هي صيغة لإسم الفاعل و تترجم الذين يحبونكم

هذا يقودنا الى السؤال التالي: ما هو الفرق بين هذا النوع من المحبة الذي أوصى به السيد المسيح له كل المجد وبين دلالات المحبة بالمعاني السابقة؟

اذا قارنا بين هذه المعاني ومنطوق الآية نتبين ان هذ المحبة agape هي المحبة المقصودة بالآية فهي الحب المطلق الصرف المجرد اللامتناهي، ومحاولة الاقتداء بالراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن خرافة الضالّة بعكس المعاني الاخرى السابقة والتي لا تكون فيها المحبة مطلقة او مجردة. فالمسيح لم يطلب منّا ان نحب اعدائنا بنفس المشاعر والكيفية التي نحب بها اقرباءنا او افراد عائلتنا فإن ذلك غير ممكن وليس صحيحا لانه كما ذكرنا سابقا ان هذا النوع agape نوع آخر من المحبة والتي تختلف عن دلالات المحبة التي قمنا بسردها سابقا. وبالتالي نستطيع ان نتوصل الى المقصود بقول يسوع المسيح احبّوا اعداؤكم:

<u>أولا:</u> إن محبتنا لاحبائنا ولأعزائنا أمر عاطفي يأتينا دون أن نسعى اليه بل ينبع من عواطف القلب، بينما محبتنا لاعدائنا ليست ناتجة عن قلوبنا فقط ولكن لا بد ان تنبع من إرادتنا، وبما أن رب المجد يوصي بالمحبة للعدو فهذا يعني انها ليست مسألة عواطف بالدرجة الأولى بل مسألة إرادة ايضا ، شيء نسعى اليه بإرادتنا وبنيّاتنا، وبما ان المحبة المسيحية للأعداء هي عمل من أعمال الإرادة فهي اذن تصميم على مسالمة وخدمة أولئك الذين يضايقوننا ويسيئون الينا، انها إرادة المحبة لمن لا يحبوننا ومن لا نميل اليهم.

<u>ثانيا:</u> تتضمن محبتنا لأعدائنا التغلب على مشاعر المرارة والغضب الطبيعية فينا لنصل الى السلام الذي لا يقهر لجميع الناس، محبتنا لأعدائنا هي انتصار على مشاعر العداء التي نشعر بها شعورا طبيعيا غريزيا لأنه ليس من الامور السهلة ان نحب الذين يكرهوننا ويؤذوننا وهذا أمر يحتاج الى نعمة من السماء كما سنرى لاحقا.

<u>ثالثا:</u> محبة الاعداء ومسالمة هؤلاء الناس هي محبة عادلة ورحيمة ولا ننسى ان الله يشرق بشمسه على البار والأثيم ويمطر على الصالحين والظالمين ، الله لم يمتنع عن ان يجري لهم اعمال الرحمة كل يوم فهو يجود على الجميع نظرا الى احتياجهم لا الى سوء معاملتهم له فينتفعون

من الطافه وهم غير مستحقين ولكنهم بشر وقد مات من اجلهم ، وقد أوصى الله بالشفقة على حياتهم من حيث حالتهم كخطاة أمام الله ومستعبدين لإبليس والمحافظة على ممتلكاتهم ومحبتهم والصلاة من أجلهم ومساعدتهم ونصنع معهم خيرا بحسب اقتضاء الاحوال والتغلب عليهم باللطف وعدم الفرح لشقاوتهم وسقوطهم وموتهم.

رابعا: يجب ان نحاول ان نرتفع عن الحساسيات والانفعالات البشرية في تعاملاتنا مع اعدائنا ونظهر لهم المحبة ونكون على الأقل قدوة حسنة لعلهم ينتبهون ويتوبون وبذلك نؤثر بهم ونربحهم للمسيح بمعونة المسيح .

خامسا:هذه الوصية لا تعلّمنا فقط ان لا ننتقم او نحقد على اعدائنا بل ايضا توصينا أن نكون ايجابيين في محبتنا لهم بمعنى ان ننقل المحبة الى حيّز التنفيذ أي ان تتسم محبتنا لهم بالمحبة العاملة ، وان تصبح تلك المحبة هي الموّجه لكل تصرفاتنا تجاههم وحتى تكون تلك المحبة عاملة فلا بد ان تتسم محبتنا لهم لا بالكلام واللسان فقط بل بالعمل والحق وهو ان نحب ونتسامح ونبارك ونحسن ونصلي لأجل الذين يسيئون الينا، فإن صلينا فقد من اجل الاصدقاء والأحبّة فلن نكون افضل من العشّارين الذين يحبون من يحبونهم أمّا ان احببنا اعداءنا وصلينا من اجلهم فنكون قد شابهنا الله في محبته للبشر، نبارك لاعنيننا بحيث نتكلم عنهم وامامهم بما هو صالح،

ونحسن اليهم ،ونقدم لهم ما امكن من خدمات واعمال محبة حسب اقتضاء الاحوال، ونصلي لهم ولذويهم، فمن المستحيل ان تصلي من اجل عدوّك وتبقى حاقدا عليه، لا تستطيع ان تتقدم الى عرش النعمة وانت مليء بالحقد، لا تستطيع التقرّب الى الله وتكون في محضره وانت مليء

بالكراهية تجاه من يعادونك، فاذن إن اضمن وسيلة للتغلب على الحقد والمرارة هي ان تصلّي وتحسن لأجل اولئك المعادين.

سادسا:لا بد أن ندرك ان السيد المسيح وضع هذا المبدأ ليكون أساسا للعلاقات الشخصية،ان كثيرين يحاولون استخدام هذه الفقرة من تعاليم المسيح ليكون أساسا للعلاقات الدولية وللنهي عن الحروب والمنازعات بين الدول ، ولكن حديث يسوع المسيح وإن كان يشمل ضمنا هذه الأمور ولكنه يتجه أساسا أولا الى علاقاتنا الفردية الشخصية ، بالافراد الذين نتعامل معهم في حياتنا اليومية. من السهل ان نتغنى بالمسالمة بين الدول والغاء الحروب بينما تكون حياتنا الشخصية مليئة بالحقد والمرارة والخصام. فالهدف الأساسي لهذه الوصية هو العلاقات الفردية فهي تخاطبنا كأشخاص وأفراد .

سابعا: يأمرنا السيد المسيح ان نحب اعدائنا وهنا لا بد ان نتذكر اننا في تعاملاتنا مع اعدائنا نحن لا نكره الخاطىء ولكننا نكره الخطية ونحب الخاطىء الذي كان ضحية لإبليس وهنا فرق.

ثانيـــــــا: دافع المحبة المسيحية نحو العدو.

بعد ان رأينا ما يقصده السيد المسيح بالمحبة المسيحية تجاه العدو حيث اوضح المسيح له المجد انه إن احببنا الذين يحبوننا فأي فضل لنا فالعشّارون والخطاة يفعلون لذلك لا بد ان نتقدّم لنرى السبب الذي يتطلب منّا ان نحب اعدائنا. ما هو الدافع لمحبة العدو. لماذا يريد المسيح ان تكون لنا هذه المحبة والسلام الذي لا يقهر والاحسان الذي لا يمكن التغلب عليه؟ الإجابة في بطن الآية فمن خلال الآية التي قام بذكرها رب المجد وهي موضوع البحث نلاحظ انه اوضح الدافع وراء محبة العدو.

فيما يلي نص الآية :

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا
لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، 45 لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ،
فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. 46 لأَنَّهُ
إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟

أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ 47 وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْل
تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ 48 فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ

الَّذي في السَّمَاوَات هُوَ كَامل (انجيل متى الاصحاح5 والاعداد44-48)

اولا: لنكون أبناء ابينا الذي في السموات

محبة الله للخليقة محبة عظيمة وعمل الله في العالم يتسم بالسخاء والاحسان والجود الذي لا يقف عند حد ولا يقهر فهو صالح للجميع ويسعى لخير الناس ومحبته للجميع الابرار والخطاة فهو لا يسر بموت الخاطي ولا يسر بهلاك أي مخلوق من صنائعه فالله من محبته يشرق شمسه على الأبرار والأشرار، ويمطر على الابرار والاشرار دون اعتبار لموقف البشر منه او الى مدى استحقاقهم، فهو لا يتعامل مع البشر كما نتعامل نحن مع البشر حيث تتوقف محبتنا وعطاؤنا لهم على موقفهم منا وتقديرهم ومحبتهم، فالله صالح ومحب للجميع لذلك فانه عندما تكون حياة الانسان في العالم متصفة بهذه السماحة والجود وحب الخير ومحبة الأعداء والتضحية والعطاء بلا ضجر او ملل او تذمّر فإن حياته تكون شبيهة بحياة الله ونكون بالحقيقة أبناء الله.

المسيح اوضح ان اتباعه يجب ان يقابلوا الشر بالخير، وان يحبّوا أعداؤهم ليكونوا ابناء ابيهم الذي في السموات وبالطبع لا يقصد هنا ان

هذه هي الطريقة التي يمكن بواسطتها ان نصبح ابناء لله وانما يقصد ان هذه هي الطريقة التي نظهر من خلالها اننا اولاد الله ونكون متشابهين في المحبة لله ابينا ونبرهن عمليّا اننا ابناؤه بإقتدائنا بأبينا السماوي في محبته لأعدائه وتسامحه معهم ، وبما ان الله لا يظهر تحيزا ويحب الجميع (بمعنى أن الاثنين الابراروالخطاة يستفيدان من المطر والشمس) هكذا علينا نحن أيضا ان نتعامل بعدل ورحمة مع الجميع على السواء.

ثانيا: لنكون كاملين كما ان ابونا السماوي كامل

أثارت هذه العبارة كثيرا من التساؤل حيث قال البعض انه لا يستطيع انسان ان يكون كاملا كالله فكيف يطلب منا المسيح المستحيل؟ بالرجوع الى اللغة اليونانية نرى ان الكلمة المستخدمة هنا teleios وهذه الكلمة لا تشير الى الكمال المعنوي الفلسفي المطلق ولكنها تشير الى الكمال النسبي، فالكمال المطلق لا يوجد الا في الله وحده ،والكلمة كاملين يجب ان تفهم في ضوء سياق الكلام، فالشيء يكون كاملا اذا كان يناسب الهدف المقصود منه، والكلمة كامل هنا معناها تحقيق الهدف، فالانسان يكون كاملا اذا كان يحقق الهدف الذي من اجله هو متواجد بالعالم ، والكلمة كمال لا تعني بلا خطية او بلا عيب فالكمال هنا هو النضج الروحي

والتصرّف بحسب الناموس المعطى لنا لخلاصنا الذي يمكّن المؤمن من التمثّل بالله في معاملة الجميع ومنهم الأعداء ،بحيث نحب الذي يكرهوننا ونصلي من اجل الذي يضطهدوننا ويؤذننا وبذلك يمكننا ان نتصف بالكمال اذا اقتدينا بابينا السماوي في انعامه ومحبته لاعدائه وتسامحه معهم

ثالثا: هل محبة الأعداء أمر مثالي يتصف بعدم الواقعية بسبب تكوين الطبيعة البشرية؟ هل المسيح يطلب منّا المستحيل؟

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَــيْكُمْ وَيَطْــرُدُونَكُمْ، **(متى الاصحاح 5والعدد 44)**

إن تعاليم يسوع المسيح لتؤكد لنا أن تحقيق ما اصطلحنا علـــى تســـميته بأسمى المعاني الانسانية ، ما هو إلى مشابهتنا بالله ، ومن الأمور التـــي تجعلنا نشبه الله هو هذا الحب الذي لا ينتهي نحو البشر والاحسان اليهم مهما فعلوا فاننا بذلك نتعلّم معنى الكمال المسيحي فنحب كما هو احبنا نحن غير المستحقين ونغفر كما غفرهو .لا بد ان نعترف ان محبة الأعداء أمر قد يكون غريبا لغير المسيحيين فهو يناقض طبيعة الغاب الكامنة فيهم بفعل

الإنسان العتيق ، بما حل فيه من تحولات على شاكلة محبة الذات والأنا ، و لكنها ليست وصية صعبة المنال ، بل تحتاج إلى شروط للوصول اليها . فمحبة الأعداء هي وصية إلهية تصل فيها درجة التسامح وحب الخير للآخر او للعدو بمعنى أدق، الى درجة نكران وقمع الذات اقتداءً بالمسيح ورجاءً لخلاصه، وليس من أجل إعلاء الفضائل كما يحاول ان يفعل البعض متغاضين عن المسيح و فدائه ، حيث نرى الكثير من الفئات الوثنية وغيرها في الماضي والحاضر حاولت ان تطبق مفهوم محبة الأعداء باعتباره فضيلة أدبية وانسانية وكان هدفهم اعلاء الفضائل والتسامي بها لارتقاء الإنسان فقط ، و لم يكن موضوعها والهدف منها الله ذاته ، فلم تكن توجه الى الله كغاية فائقة للطبيعة ولكن كان موضوعها الخير البشري والظهور بمظهر النبل والتسامي بالفضائل او كان لمصلحة مشتركة او لتعايش ملائم . فالعلّة إذن تكمن في المحرّك لهذه المحبة، والهدف هو الفيصل . فهل الهدف يتمثل في إعلاء الفضائل والتسامي بالمشاعر الانسانية فقط ، أم في الاقتداء بالمسيح والتمثّل به رجاءً بخلاصه؟ فإذا كان الهدف هو فقط إعلاء الفضائل والتسامي بالمشاعر ، فالمبدأ هذا يناقض المحبة إذ لا يكون الحب بمعنى المحبة المطلقة ولكن يكون بمعنى التسامي. فالشخص الذي يحاول الوصول الى هذا المستوى لا يصل له لانه

محب للغير ولكن بالنسبة له يتمثل الأمر في صورة صراع لقمع الــذات و التحكم فيها من اجل التسامي والارتقاء بالمشاعر والاحاسـيس البشـرية وليس من اجل الحصول على النعمة والخلاص والاقتداء بالمسيح وقبوله. لذلك هذا الجهاد يكون عبارة عن اجتهاد شخصي بدون معونة من الــروح القدس وبالتالي لا يكون هذا جهاداً مدعّم من الروح القــدس و لا جهــاد مثمر او ثابت او متكامل فهو ليس مباشر من الله ولا يوجــد فيــه نمــو وتكامل و طهارة من الدنس بدم المسيح وكفارته، بل يبقى جهاد نــاقص، بعكس المحبة المطلقة نحو العدو والتي جاءت كوصية إلهية ،فهي منبعها الله وغايتها وهدفها الله بمعنى انها موجهة الى الله كغاية فائقة للطبيعــة بحيث نكون شركاء في الطبيعة الالهية في القداسة والعمل والحب ، فهــي موضوعها الله وتستمر بالنمو الى ان تصل الــى درجــة التكامــل. ولأن موضوعها الله لا بد ان تكون مفاضة من الله بمعنى أنه لا يمكن لإنسان ما ان يبدأ الحياة حسب هذا المبدأ دون معونة ونعمة مــن المســيح، فحتــى نستطيع ان ننجح في طاعة الوصية لا بد لنا من النعمة التي هــي احــدى عطايا الصليب تلك العطية المجانية التي اعطاها الله لأولاده. وهنا لابد لنا أن نفرق بين نوعين من النعمة ؛ نعمة أخــذناها دون عمــل منــا ودون استحقاق ، فهي نعمة تعمل فينا فتغير طبيعتنا العتيقة فنصير خليقة جديدة،

و نعمة نحصل عليها لاستحقاقنا لها بالجهاد و التمثل بالمسـيح و السـير على خطاه. فالنعمة تعطي لمن يطلبها و الثانية تعطى لمـن يسـتحقها ولمن يجاهد ويطلبها بإلحاح و لجاجة فكلما جاهدنا نمتلئ أكثر من الـروح القدس لنصل إلى صورة المسيح . فالنعمة تكون عمل الروح القدس فـي المؤمن وطالما هي عمل الروح القدس فنحن نعلم ان الروح القدس يعطى لمن يسأل بلجاجة ، فكلما جاهد المؤمن يمتلىء مـن الـروح القـدس اي يمتلىء من النعمة وكلما جاهدنا اكثر كلما امتلأنا نعمة فوق نعمة فالامتلاء بالروح هو نعمة اي عطية إلهية ولكن لا توجد نعمة دون جهاد، وجهادنا لكي نمتلىء من الروح القدس او من النعمة ينقسم الى جهاد ايجابي وهذا يعني جهادنا في الصلاة والأصوام الخ... وجهاد سلبي بمعنـى التغصّـب على عمل الشيء المطلوب. ومن يجاهد غاصبا نفسـه يمتلـىء نعمـة ولذلك إن عشنا تحت النعمة فالنعمة سوف تعطينا القدرة والمعونـة علـى اكرام الوصية الالهية واطاعتها وبدون فشل فنعمة المسيح هي التي تقوّي وتخلق داخل الانسان عون داخلي يوجهه ويحرك قلبه بحيث يخضع نفسه الى التعليم ويعينه على التقوى وبحسب ارشاد الـروح القـدس فسـوف تمتلىء حياته بالنعمة الغنية ،فربنا يسوع المسيح اعطانا ملـىء نعمتـه " ومن ملئه نحن جميعا اخذنا نعمة فوق نعمة" (يوحنا الاصـحاح1والعـدد 16) وهذه تعني ان الروح القدس حلّ بملئه على المسيح ونحن بثباتنا

في المسيح الرأس صار لنا ان نحصل على الروح القدس الذي يسند ويؤيد طالما نصلي من اجل هذه النعمة. وبالتالي حتى نستطيع ان نصل الى محبة الأعداء كغاية نحتاج الى نعمة ولكن هل تأتي النعمة دون جهاد؟ من يجاهد غاصبا نفسه يمتلىء نعمة وهذه النعمة تكون معينا له تسنده وتعينه كما ذكرنا سابقا، وهذه النعمة هي قوة يعطيها الروح القدس في المؤمن المجاهد فتعينه على حفظ الوصية ومحبتها ويصير تنفيذها سهلا بالمسيح الذي فينا ومن يحب الله يحفظ وصاياه وبإختصار النعمة تعطينا ان نكون خليقة جديدة على صورة المسيح قادرين بالنعمة أن ننفذ الوصايا حتى ولو بدت صعبة التحقيق عند البعض وبالتالي النعمة تعرض معونتها عليك ولكن انت حر تقبل او لا تقبل تعمل او لا تعمل، فاذا اشتركت مع الروح القدس في العمل تصل بنعمة الروح القدس الى كمال القداسة واذا رفضت الاشتراك فالنعمة وحدها لن ترغمك على الخير فحتى نحصل على نعمة المسيح يجب ان نبذل جهدا وعملا وارادة من جانبنا تجاوبا مع عمل النعمة ، فالروح القدس يعمل فينا لاجل خير وبر الإنسان و يأتي نتيجة لاتحاد إرادته بعمل النعمة ، ونعمة المسيح وحدها هي التي تعطي للإنسان هذه الاريحية والمسالمة التي لا تقهر في علاقاتنا الشخصية. فعندما

يسكن المسيح قلوبنا تنتعش هذه المحبة وتتبخر عوامل المرارة والحقد و الاحتقان ، فلكي نستطيع ان نعيش حسب هذا المبدأ والوصية الالهية التي تأمر بمحبة الاعداء لا بد من معونة ونعمة المسيح . تلك النعمة التي تحرّك القلب وتقوّيه. فالحياة المسيحية التي تبنى على تعاليم المسيح والتي توضع تحت تصرّف الروح القدس تقود الانسان الى درجات عالية في حياة الوحدة مع الله وبالتالي تكون لنا مستويات أعلى من التوحد ، فنؤثر بالعالم ولا نتأثر به ونؤثر في أعدائنا ولا نتأثر بعدائيتهم لنا بل نصلي من اجلهم . و لقد طالب السيد المسيح المؤمنين ان يصعدوا بالروح القدس على سلّم الحب فيحبّون حتى الأعداء ويحسنون الى المبغضين لهم، ويصلون لأجل المسيئين اليهم ، وبهذا يحملون مثال ابيهم السماوي وشبهه.

و جملة القول أنه يتعين علينا أن نعي تماماً الفرق بين الحب الذي يكون دافعه الله وموضوعه الله ومفاض من الله واقتداء بالله و بين ما يبدو وكأنه حب و هو لم يصل حتى إلى أدنى درجات المحبة بل يقتصر على كونه مجرد ارتقاء للمعاملات وتسامي للأخلاق المشاعر. فالأول مسيحي

الهوية و الأهواء ، أما الثاني فقد يكون سلوكي وثني من الأزمنة البائدة كبعض فرق الغنوصية أو فلسفي صرف كبعض التيارات اليونانية أو

عقائدي كبعض الفرق الهندية. و لا يمكننا أن نساوي بينهما حيث تختلف غاية كل منهما ، فشتان بين التمثل بالله حباً فيه و بالتالي حباً في مخلوقاته و قبولاً لخلاصه ، و بين إرضاء البشر بعضهم لبعض لسمو الأخلاق و ارتقاء التعامل و النمو الصحي للمجتمعات. و مما لا شك فيه أن الأول هو طريق الملكوت أما الثاني فهو سلوك راقي من معاملات الشيطان المستترة الذي يصور إمكانية تطبيق تعاليم المسيح دون الحاجة لقبول فدائه أو الاعتراف به كإله متجسد ، و ذلك لاستمرار فصل البشر عن الله و ملئ الهاوية بأتباع الشيطان.

ويرى القدّيس يوحنا الذهبي الفم أن السيّد المسيح قد جاء ليرفعنا إلى كمال الحب، الذي في نظره يبلغ الدرجة التاسعة، مقدّمًا لنا هذه الدرجات هكذا:

الدرجة الأولى: ألا يبدأ الإنسان بظلم أخيه.

الدرجة الثانية: إذا أصيب الإنسان بظلم فلا يثأر لنفسه بظلم أشد،

الدرجة الثالثة: ألا يقابل الإنسان من يسيء إليه بشر يماثله، إنّما يقابله بروح هادئ.

الدرجة الرابعة: يتخلّى الإنسان عن ذاته، فيكون مستعدًا لاحتمال الألم الذي أصابه ظلمًا وعدوانًا.

الدرجة الخامسة: في هذه المرحلة ليس فقط يحتمل الألم، وإنما يكون مستعدًا في الداخل أن يقبل الآلام أكثر مما يودّ الظالم أن يفعل به

الدرجة السادسة: أنه يحتمل الظلم الأكثر ممّا يودّه الظالم دون أن يحمل في داخله كراهيّة نحو العالم.

الدرجة السابعة: لا يقف الأمر عند عدم الكراهيّة وإنما يمتد إلى الحب... "أحبّوا أعداءكم".

الدرجة الثامنة: يتحوّل الحب للأعداء إلى عمل، وذلك بصنع الخير "أحسنوا إلى مبغضيكم"، فنقابل الشرّ بعمل خير.

الدرجة التاسعة والأخيرة: يصلّي المؤمن من أجل المسيئين إليه وطارديه.

هكذا إذ يبلغ الإنسان إلى هذه الدرجة، ليس فقط يكون مستعدًا لقبول آلام أكثر وتعييرات وإنما يقدّم عوضها حبًا عمليًا ويقف كأب مترفق بكل البشريّة، يصلّي عن الجميع طالبًا الصفح عن أعدائه والمسيئين إليه وطارديه، يكون متشبِّهًا بالله نفسه أب البشريّة كلها. يرى القدّيس يوحنا الذهبي الفم أن غاية مجيء السيّد إلينا إنّما هو الارتفاع بنا إلى هذا السموّ إذ يقول: [جاء المسيح بهذا الهدف، أن يغرس هذه الأمور في ذهننا حتى يجعلنا نافعين لأعدائنا كما لأصدقائنا.

هل قام المسيح وهل قام غيره من أناس في تاريخ المسيحية بتنفيذ هذه الوصية التي تأمر بمحبة الاعداء؟

لقد احب السيد المسيح العالم بمجيئه وصلبه عن العالم ،فلا عداوتنا ولا جهلنا كانا حائلا دون بذله لنفسه على الصليب ،ومحبته لاعداءه لم تتوقف عند هذا الحد بل المسيح له كل المجد لم يعلّم فقط محبة الاعداء ولكنه فعل ما كان ينادي به، فكم وكم رأينا في الكتاب المقدس أعداء المسيح والمواجهات التي تعرّض لها من قبلهم؟ كم رأينا كم تعرّض لمحتلف الاهانات البشرية من قبل الكثيرين ، من قبل الكهنة الذين عوّجوا القضاء ليدينوه وعامة الشعب الذي هتف ضده وطالب بصلبه بعد كل الحب والمعجزات والخدمات التي قدمها لهم، تعرّض للصلب والعري وغرس المسامير في يديه من قبل العسكر الرومان وتعرض لكثير من المهانات فماذا كان رده على كل هؤلاء؟ يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون. فهو قام بتنفيذ هذه الوصية بل التمس لهم العذر في عدائهم ووقف محاميا لاعداءه وصلب عنهم، اي حب بمقدار هذا الحب؟

أيضا كم نرى الكثيرين من اتباع المسيح الحقيقيين في كل زمان ومكان ممن قاموا بالاقتداء بالمعلّم الأعظم والاله السماوي في محبته لاعداءه، فهناك استفانوس اول الشهداء الذي اقتدى بسيده وصلّى من اجل الذي يرجمونه بقوله

" يارب لا تقم لهم هذه الخطية". معلمنا بولس الرسول في سجن فيلبي الذي اشفق على السجّان الذي لا بد وان قام بتعذيبه بضربات شديدة وضبط رجليه في

المقطرة مع سيلا ، حيث قام معلمنا بولس الرسول بمنع السجّان بصوت عظيم بعد ان استل السيّاف سيفه ليقتل نفسه ، وغيره من الشهداء والذين تعذّبوا من اجل اسم المسيح فهم طبقوا هذه الآية بحذافيها ، وغيرهم الكثير من المسيحيين الذين عانوا ولا يزالوا يعانون من التعاملات السيئة من اعدائهم وهم يحتملون ويطبّقون قول السيد المسيح احبوا اعداؤكم .

في نهاية هذا البحث نستطيع ان نقول ان محبة الاعداء اقتداء بالمسيح ورجاء بخلاصه أمر ليس صعب المنال فعندما يمتلىء القلب بمحبة المسيح ونعمته فتفيض هذه المحبة على الاخرين وتأتي محبتنا للأعداء بالتمثل بالمسيح الذي احبّ حتى اعدائه وغفر لهم.

انتهـــــــى

المراجع

الكتاب المقدس

تفسير الكتاب المقدس ابونا تادرس ملطي

تفسير الكتاب المقدس ابونا انطونيوس فكري

كتاب الجهاد والنعمة لقداسة البابا شنودة الثالث

الموسوعة المسيحية العربية

Strong's Lexicon entries